التحرير

عمل متصل يجرى الآن فى منطقة مصر القديمة لإنقاذ أهم أثر اسلامى هو جامع عمرو بن العاص الذى وضع تخطيطه ثمانون من صحابة الرسول وأول مسجد ينشأ فى القارة الأفريقية كلها . وعلى بعد خطوات قليلة داخل حصن بابليون تقوم هيئة الآثار بمحاولة أخرى لإنقاذ واحد من أهم الآثار المسيحية . ذلك الكهف الذى عاشت فيه العائلة المقدسة ثلاثة أشهر كاملة عند قدومها الى وادى النيل . وبين المسجد والكهف بقايا عمائر تتحدث عن عصور رائعة شهدتها هذه المنطقة التى كانت فى يوم ما عاصمة لمصر .

مصر العتيقة.. كانت مدخلاً للأديان!

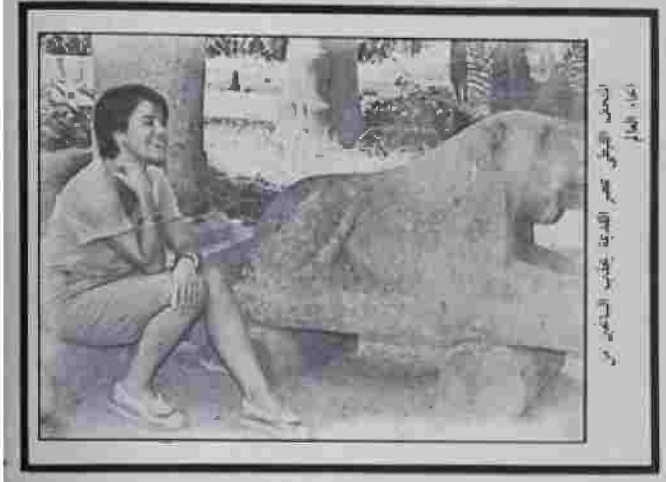

الجمال الأنثوى لمصر القديمة يتجلى فى الفنانة سلوى العمار

زينب عبد المنعم

تصوير : صبرى صلاح

على عمق عشرة أمتار تحت الأرض سرت وراءه أنفاق فوق سلسلة من السفالات الخشبية المتراجحة وأنا أتأمل . ماذا لو وقعت الآن فى الماء ؟ وبعد بضعة أمتار توقف وأشار إلى مصدر الضوء القادم من بعيد . من هنا فتح عمرو بن العاص مصر .

أردت أن أحدق طويلا فى تلك البوابة الضخمة وجدران الحصن الحجرية العتيقة والقرن القديم والظاهرة المائية وأتخيل كيف كانت أول خطوة فى مصر الاسلامية ولكنى لم أملك إلا أن أحملق سريعا .

وكان على أن أقول لكم ماذا يجرى الآن فى جامع عمرو وماذا تفعل تلك الشركة الإنجليزية بكهف العذراء ؟ وماذا حدث لمدينة بابليون وفسطاط ابن العاص أو فى ماذا تحدث فى مصر القديمة وان كنت لا أدرى من الذى صادفنا هكذا وهى تسمى حتى الآن شارع ٠ ٠ فمازالت بعض مدارسها تحمل اسم الفسطاط ومازالت بعض خطوط المواصلات تحمل هذا الاسم وتجرى به بين أرجاء القاهرة

هذه البقعة الصغيرة من جنوب القاهرة حكمت مصر طوال قرون عديدة وأشرقت منها شمس المسيحية ومنها أيضا دخل الإسلام . ولم يستطع أحد أن يحدد بالضبط عمرها التاريخى وان كانت بعض التراجم الفرعونية التى اكتشفت بالمنطقة تشهد بأنها ربما كانت مأهولة بالسكان فى العصر الفرعونى .

وتأتى الأهمية الأولى لمصر القديمة الآن من مجموع تلك الآثار العديدة التى تزخر بها المنطقة التى تمتد إلى العصور الرومانية الأولى فى مصر . ويعتبر أقدم أثر بها حصن بابليون وأطلال أبراجه القديمة وكان يطلق عليه أيضا قصر الشمع الذى حير المؤرخين وعلماء الآثار .

يعلل المقريزى إطلاق اسم قصر الشمع على قلعة بابليون أنه كان من عادة القوم فى ذلك الوقت أن يوقدوا الشموع كل شهر فى أحد أبراج الحصن فى ليلة انتقال الشمس من برج إلى آخر . وقال البعض إن كلمة الشمع محرفة عن الكلمة القبطية « كيمى » ومعناها مصر أى قصر مصر . ويقال إن الفرس هم أول من بدأوا فى تشييد الحصن ثم أكمله الرومان .

ومازال اسم بابليون يطلق حتى الآن على بقعة تمتد حوالى نصف كيلو متر تقريبا جنوب الحصن وبها تلال كثيرة أهمها كنيسة السيدة العذراء بابليون الدرج .

قبو مغارة الذى ظل لمستحف القبطى من القرن السادس الميلادى

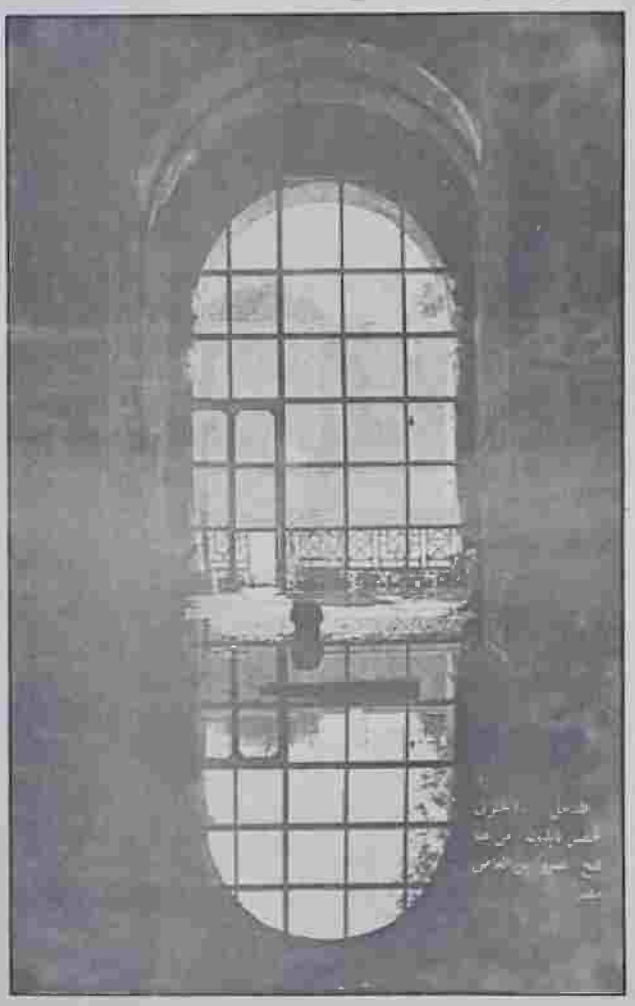

الفصل الأخير لقصة بابليون من فتح عمرو بن العاص لمصر

ويعتبر حصن بابليون هو الأثر القائم الوحيد الباقي من مخلفات الرومان في مصر عاصمة أنهم حكموا مصر مدة تزيد على ستة قرون . وكان هذا الحصن هو القوى حصون الديار المصرية على الاطلاق . حتى الفتح العربي . وقد ظل عمرو ابن العاص يحاصره سبعة شهور . حتى تم عقد معاهدة بين المسلمين والقائد الرومانى سقط بعدها الحصن بين أيدى المسلمين . ومازال هناك فى مصر القديمة المدخل الجنوبى للحصن قائما على عمق عشرة أمتار تحت الأرض . وهو المكان الذى دخل منه عمرو وجنوده وتستطيع أن تصل اليه عن طريق حديقة الناعوف النيلى . وأول ماتجده هناك طاحونة حبشية رفيعة ومحزن للغلال . أما الحجرات فازالت تحمل عددا من المصابيح القديمة . ولكن حقا رأيت تخطو فوق الأعتاب فالماء تغمر أرض الحصن منذ إنشاء السد العالى وارتفاع منسوب المياه الجوفية . ولست أدرى كيف تترك هيئة الآثار هذا المدخل الرومانى والأثر الاسلامى القائم طوال تلك السنوات والأمر لايكلف أكثر من جهاز لتنقط مياه الرشح . على العموم ورغم أنف ذلك فالمكان يزخر كل يوم بمئات السائحين الذين تحدثهم منطقة مصر القديمة بتراثها الحضارة العريقة

وها نحكى عن مصر القديمة عند الفتح الاسلامى أى حامات ، حمامة ، ووضعت يدها فى خيمة عمرو بن العاص فسمى هذا المكان الفسطاط . وكان بداية مدينة الفسطاط التى أنشأها ابن العاص والتى تحكى عنها الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار سابقا فى كتابها « القاهرة وأحياؤها » أن عمرا بن العاص عندما فتح مصر سنة ٢١ هجرية رأى أن يبنى عاصمة جديدة فى المكان الفسيح الذى يقع شمال حصن بابليون حيث عسكرت قوات العرب بمصر الأولى وسماها الفسطاط . وقد أسهب مؤرخو العصور الوسطى عامة الرحالة فى وصف مدينة الفسطاط . ذكر القضاعى أنه كان بها ٣٦٠٠ مسجد و ٨٠٠ شارع و ١٧٠ حماما .

وكما يؤسف له أنه لم يبق من مدينة الفسطاط القديم المظاهر الاسلامية إلا هذه الأطلال . فقد حدث أن احترقت فى القرن السادس الهجرى حرقا من امتلاء الترعة عليها . وعلى الرغم من اندلاع النيران فى ٥٤ يوما . فإن مايقى من آثارها يدل دلالة واضحة على ماكانت عليه من حضارة وعمران

وكما يقول الدكتور مصطفى عبدالله شيحة المدرس بكلية الآثار . كان بهذه المدينة منازل من عدة طوابق . وخلال الحفائر التى تمت فى المنطقة فى الفترة من ٦٩ الى ١٩٧٤ تم الكشف عن منازل وسراديب . وأهم مالاتزعى النظر فى هذا الاكتشاف كيف ، لمجرى ، يزود المدينة بالمياه العذبة طوال حوالى ثلاثة كيلو مترات متى بطريقة عجيبة عبارة عن مدابيح من الطوب الأحمر فى باطنها سلسلة من أنابيب الفخار ومغطاة من أعلى بمجاديل حجرية لحولها وتنصب القناة فى مستودعات مياه . ومنها تزود منازل المدينة بالمياه العذبة .

وبذلك يبقى لنا من فسطاط ابن العاص مسجده الذى كان جامعة إسلامية كبرى يدرس فيها الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن واللغة . وذاع ذكرها فى الآفاق وقصدها الطلاب من أقطار شتى حتى بلغت حلقات العلم بها ١١٠ فصول دراسية . وكان الإمام الشافعى أحد أساتذتها . وكان الى جانب هذا دار حكم يجلس فيها الحاكم للنظر فى مصالح الناس . ودار قضاء يجلس فيه القاضى للفصل فى الخصومات . وكان به بناء اتخذ لحفظ مال المسلمين يسمى بيت المال .

وجامع الفسطاط هو أول مسجد أقيم فى القاهرة بل فى القارة الأفريقية كلها بوصفه عبد السلام الهوارى مدير آثار منطقة جنوب القاهرة : أنه كان بسيطا فى تخطيطه عدد مرضع تحرابه ثمانون من كبار صحابة رسول الله ﷺ .

وكان عبارة عن مساحة هندسية جدرانها من الطوب اللبن وسقف تجذوع النخل . ومفروش بالرمال . وكان بعد ذلك أدرانا على كل من يصل إلى حكم مصر أن يضيف فيه جديدا حتى قام مراد باشا فى أواخر العصر المملوكى بطمسه وجعله عندما ترامت اليه شائعة عن وجود ذهب بجوار القبلة فقام بهدم رواق القبلة للبحث عن أماكن الذهب . إلا أنه لم يعثر على شئ . ولأنه أوهم الناس أنه يقوم بترميم المسجد وليس تخريبه أسرع فى إعادة البناء مرة أخرى فأعطاه البناء وبدلا من أن يقام الأروقة شكلا عرضى كتخطيط المسجد القديم أقامها بطريقة طولية عمائلة واصبحت هذه من الأخطاء المعروفة فى العمارة والبناء .

ولم تحدث أى ترميمات بالمسجد بعد ذلك حتى اتفقت وزارة الأوقاف مع شركة علام للمقاولات على إعادة تعمير المسجد . وقامت لجنة من الآثار

بنك القاهرة وباريس

فاضلت

أرقى مستوى آداء مصرفى

- فتح الاعتمادات المستندية استيراد / تصدير
- أعمال الصرف الأجنبى وفتح الحسابات بالعملات الأجنبية .
- الودائع لأجل بالعملات الأجنبية والجنيه المصرى وبأعلى الأسعار للفائدة السائدة فى الأسواق العالمية .
- إصدار خطابات الضمان .
- استشارات مالية .

BANQUE DU CAIRE ET DE PARIS .

١٤ شارع السراى الكبرى - جاردن سيتى - القاهرة

ت ٢٠٨٢٨/٣٠٣٩٦ تلكس ٩٣٧٢٢ تلغرافيا BACAIPAR

والأوقاف بإعادة دراسة مشروع . د. كريزويل وكان اسمه . ويطالبا بمدرس الآثار الإسلامية بآداب القاهرة ومن مؤلفاته كتاب عن الآثار الإسلامية منذ عشرين عاما . وبه رسم تخطيطي للمسجد وكيف يقام ويعاد بناؤه .

وعند ١٩٦٠ وتحولات ترميم المسجد تجري حينا وتتوقف طويلا . بسبب ميزانية الأوقاف وتحلات أخرى مع الشركة حول طريقة ترميمه . وأخيرا حسمت الخلافات وتجري العمل داخل المسجد ليعود اليه رونقه قبل نهاية هذا العام . ويعود إليه رواده الذين هجروه سنين طويلة بل هناك فكرة الآن بدرسها مجلس إدارة الجامع برئاسة الدكتور ابراهيم بدران رئيس جامعة القاهرة سابقا ليتحول الجامع الى جامعة عمرو بن العاص تدرس فيه المواد الدينية حول الأعمدة في الرواق المواجه لرواق القبلة كصورة أخرى للجامع الأزهر .

وهو يختصر مصر القديمة على ماحظه لها العصران الرومانى والإسلامي . بل عاشت عصرا ذهبيا ازدهرت فيه المسيحية . وتركت لنا تراثا قبطيا عريقا . كان هذا مادة غنية لرسالة الماجستير التى حصل عليها الدكتور مصطفى شيحة بعنوان : « كنائس مصر القديمة فى العصر الإسلامي » وتناول فيها قديم العائلة المقدسة إلى منطقة مصر القديمة ضمن رحلتها إلى مصر وكيف لجأت إلى مغارة أسفل حصن بابليون وهذه مازالت موجودة حتى الآن وقد رجع في دراسته إلى عديد من المراجع مثل « السنكار القبطي » وهو مرجع ديني هام يروى قصص الاستشهاد للقديسين وسير القديسين .

والمغارة باقية محفورة فى الصخرة تدخل اليها من خلال درجات من السلالم الحجرية من الكنيسة الكبيرة التى بنيت بعد ذلك فى العصر الإسلامي فى القرن الثالث عشر الميلادى . والمغارة من الناحية الأثرية تخضع لتطور البازيليكي فى المنشآت الدينية المسيحية . وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام تنتهي فى الناحية الشرقية منها بهيكل مقدس .

وكما حدث فى حصن بابليون عانت المغارة من مياه الرشح بعد بناء السد العالى . وأغلقت لبضع سنوات . وتقوم هيئة الآثار الآن مع شركة الحلوية برفع المياه الموجودة ومعالجة الجدران بمواد عازلة لتفتح مرة أخرى أبوابها أمام الزوار الذين كانوا يحجون اليها من كافة أرجاء العالم .

وإذا كنا تحدثنا عن الآثار القبطية فى هذه المنطقة فقد تكون هى المنطقة الوحيدة فى مصر والتى تضم أكثر من عشر كنائس متجاورة أثرية قديمة أعيد بناؤها فى العصر الإسلامي فى مختلف فنونه لاسيما العصر الفاطمى . وقد بنى فى هذه الكنائس كثير من التحف التى صنعت فى العصر الإسلامي وتشهد بتطور الفن القبطى وامتزاجه من حيث الصناعة والأسلوب الفنى مع الفن الإسلامي . هذه الكنائس بنى معظمها على أنقاض حصن بابليون . ولو وسطه نجد أهم الكنائس الأثرية السياحية القديمة مثل كنيسة أبو سرجة التى تضم أسفلها مغارة السيدة العذراء . وقد بنيت فى القرن الثامن الميلادى .

وكنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة وهى من أشهر كنائس مصر القديمة وتحفظ بكثير من التحف الأثرية القديمة وبنيت على أنقاض برجين من أبراج الحصن الرومانى .

غير ذلك توجد فى الحصن كنيسة القديسة بربارة

باب الكنيسة وسط جامع عمرو أغرى مراد بك بالبحث عن الذهب

وكنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بالمصرية الرهبات وتعتبر اليهود كان أصله كنيسة قبطية اشتراها اليهود من البطريرك أيام حكم أحمد ابن طولون وهى تضم أيضا أطراز بناء الكنائس القبطية فى مصر .

وفى كنائس جنوب الحصن تعد كنيسة الأمير تادروس وكنيسة بابليون الفرج وكنيسة أبا كير ويوحنا . أما كنائس شمال الحصن فهى كنيسة القديس أبى السيفين وكنيسة الأبانشودة والعذراء المعلقة .

وتجاور هذه المجموعة الكبيرة من الكنائس يقع المتحف القبطى الذى أسسه مرقص سميكة باشا ١٩١٠ ليجمع فيه كل الآثار والوثائق التى تساعد على كشف الستار عن تاريخ العصر المسيحي فى وادى النيل . وقد نقلت إليه التحف والأدوات القبطية والمشربيات والسقوف والأعمدة الرخامية والشبابيك والفرجات وقطع القيشانى التى كانت فى منازل قديمة متداعية يملكها الأقباط . ثم نقل الى أطلال الدولة حيث بدأت فترة ذهبية فى تاريخه . كما يقول مديره مع بسط لقطاعات حجراته واضطرت الحكومة إلى إنشاء جناح جديد عام ١٩٣٧ . وأخيرا القديم من المتحف يعانى الآن من التصدع . وهناك مشروع لترميمه وافق عليه مجلس الدولة أخيرا ورصدت له هيئة الآثار ٥٠٠ ألف جنيه . وعرف تستعين الهيئة بشركة امريكية للقيام بأعمال الترميم هذه . وعمليات توسيع المبانى والإضافة بعد أن أصبح المتحف بحاجة إلى مساحة أكبر لعرض الآثار القبطية التى يزايد قدومها الى المتحف نتيجة لأعمال التنقيب والاكتشافات الأثرية المتزايدة . والتى كان أحدثها تلك الآثار التى جاءت بها البعثة الفرنسية من بلدة عند الله زق شمال أوسيم والتى خصصت لها قاعة كبيرة امتلأت بمختلف القطع الأثرية والمخطوطات المكتوبة باللغة القبطية الدوية .

● ● ●

وإذا كنا نبى فى سياء جمعا للأديان به مسجد وكنيسة ومعبد فهذه ليست السابقة الأولى . والدليل على ذلك مصرنا القديمة أو كما يسميها العامة مصرنا العتيقة التى كانت مدخلا للأديان .

بنك القاهرة باركليز الدولى

CAIRO BARCLAYS INTERNATIONAL BANK S.A.E

البنك المتخصص فى جميع مجالات الاستثمار وتمويل التجارة بالعملات الحرة

يمكننا أن نمدك :

- بدراسة كاملة عن المشروع الذى ترغب الاستثمار فيه .
- مراجعة الجدوى الاقتصادية وافادتك عن مدى نجاح المشروع .
- إيجاد شركاء أو مستثمرين معك .
- طرح أسهم الشركة للاكتتاب العام .
- تقديم قروض متوسطة وقصيرة الأجل لشراء المعدات اللازمة ، وكذلك المواد الأولية اللازمة للإنتاج .

● تمويل عمليات الاستيراد والتصدير بالعملات الحرة

وتحن نعتمد على خبرة موظفينا مع الخبرات المكتسبة لمؤسسينا بنك القاهرة وبنك باركليز الدولى

المركز الرئيسى : ١٢ ميدان الشيخ يوسف / جاردن سيتى / القاهرة

فرع الاسكندرية : ١٠ شارع القواطم « بجوار ميدان شامبليون